نظريات نشأة اللغة

الدرس الأول:

من أهم النظريات التي عالجت موضوع نشأة اللغة نذكر:نظرية التوقيف (الوحي ،الإلهام) ونظرية المواضعة (الاصطلاح)، ونظرية المحاكاة.

1- نظرية التوقيف:

تقوم هذه النظرية على فكرة أن نشأة اللغة ،إنما حدثت بتلقين إلهي لآدم عليه السلام ويرجع بعض الباحثين هذه النظرية الى الفيلسوف اليوناني هيراكليت (576- 480 ق م)وأفلاطون القائلين بأن اللغة إلهام ومقدرة فطرية .

ومن علمائنا العرب العالم الجليل (ابن فارس) ت 390هـ تبنى هذه النظرية ،فقد خصص لها بابا في كتابه (الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) سماه :(القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح) وقال فيه :" أقول إن لغة العرب توقيف" ودليل ذلك قوله تعالى عز وجل(وعلم آدم الأسماء كلها) = البقرة 31 ، وأشار الى قول ابن أبي عباس رضي الله عنه " إن الله علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار ،وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ".

والدليل النقلي الذي قدمه ابن فارس وغيره وهو قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) فيقدم ابن جني تأويل له من شأنه أن يسقط الاستدلال به على التوقيف ، إذ يقول في "باب القول على أصل اللغة الهام أم اصطلاح " من كتابه الخصائص "هذاموضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لاوحي وتوقيف

إلا أن أباعلي رحمه الله قال لي يوما (هي من عند الله) واحتج بقوله سبحانه وتعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) وهذا يجوز تأويله : وأقدر آدم على أن واضع عليها .

2نظرية المواضعة و الاصطلاح :

المواضعة و الاصطلاح اتفاق على ألفاظ و مدلولاتها ، هذا يعني أن اللغة من صنع الإنسان و فكرة المواضعة مغرقة في القدم

تعود إلى الفلاسفة اليونانيين ومن القائلين بها في العصور الحديثة آدم سميث .

وقد رأينا ابن جني يذكر أن :"أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع ,لا وحي وتوقيف".

و المواضعة كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل منها سمة و لفظا إذا ذكر عرف به ما مسماه, ليمتاز عن غيره وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين ...ثم لك بعد ذلك أن تنقل المواضعة إلى غيره فيقول :الذي اسمه (إنسان) فليجعل مكانه (مرد) بالفارسية و (آدم) بالتركية و(ناشا) بالسريانية و من الممكن أن يكون التواضع قد تم بطريقة اتفاقية تحكمية لا تستند عند المتكلمين إلى شيء غير تخصيص رمز صوتي مسموع للمعنى المراد دون أن تكون هناك علاقة طبيعية بين اللفظ و المعنى ,كما ذكر اختلاف الألفاظ للمعنى الواحد في لغات متعددة كالعربية و الفارسية والرومية و غيرها (يعني التعدد اللغوي) كما أنه لم يغفل التنويه بالمظهر المتطور للغة وارتباطه بتطور المجتمع و ان هذا المجتمع يضع بمحض إرادته ألفاظا جديدة للمعاني الجديدة وهو ما نص عليه بقوله :" وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء ".

_تحليل النصوص المتعلقة بالعلاقة الاعتباطية بين الدال و المدلول .

الدرس الثاني

نظرية المحاكاة :

تشير هذه النظرية إلى أن اللغة نشأت تقليدا لأصوات الطبيعة :(المظاهر الطبيعية ,أصوات الحيوانات) و الأصوات التي تحدثها الأفعال عند وقوعها كصوت القطع , و الكسر و الضرب و غير ذلك وما يصدر عن الإنسان من إنفعالات (الحزن , الفرح,الخوف...) و المظاهر الطبيعية (كدوي الريح , وحنين الرعد, و خرير المياه, وحفيف الأوراق)

وقد أشار ابن جني في الخصائص إلى هذه النظرية فقال :" وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح ,وحنين الرعد, وخرير المياه وشحيج الحمار , ونعيق الغراب , وصهيل الفرس.. ونحو ذلك ".

وقد خصص ابن جني بابا في الخصائص لهذه المسألة سماه " إمساس الألفاظ اشباه المعاني" قال فيه : إعلم أن هذا موضع شريف لطيف و قد نبه إليه الخليل و سيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له , و الاعتراف بصحته قال الخليل:كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا فقالوا : صر و توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا :صرصر و قال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن فعلان :إنها تأتي للإضطراب و الحركة نحو :النقزان , و الغليان ,الغثيان ,فقابلوا بتوالي حركات المثال , توالي حركات الأفعال كما وجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير , نحو:الزعزعة , والقلقلة ,والصلصلة و القعقعة و القرقرة.

و أما مقابلة الأحداث بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع فكثيرا ما

يجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها , و من ذلك قولهم : خضم و قضم فاخضم لأكل الرطب كالبطيخ و القثاء و القضم لاكل الصلب اليابس نحو : قضمت الدابة شعيرها , و القد طولا و القط عرضا , وذلك أن الطاء أحصر للصوت و أسرع قطعا له من الدال .

ومن المؤدين لهذه النظرية من الغربيين العالم (ويتني) واللغوي العربي إبرهيم أنيس و صبحي الصالح و علي عبد واحد وافي إلا أن هذه الألفاظ المستوحاة من الطبيعة لا تمثل إلا عددا محدودا وبالتالي هي مستثنى يحفظ ولا يقاس عليه .

_ تحليل نصوص ابن جني : باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني .